تزكية النّفُوسْ

د. أحمد فريد

المكتبة العصرية الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد :

فمن أكثر من خمسة عشر عاماً ، ومع تباشير الصحوة الإسلامية وفقنى الله عز وجل لجمع كتاب مختصر فى الرقائق وأسميته " دقائق الأخبار فى رقائق الأخبار " .

وطبع هذا الكتاب أكثر من طبعة غير محققة ثم استأذننى الأخ شرف حجازى فى طبع الكتاب بعد أن حققه بعض الإخوة الأفاضل فأذنت له ومضى على ذلك مدة ، ثم نزل الكتاب باسم " تزكية النفوس " وبتحقيق الأخ : " ماجد أبو الليل " وانتشر الكتاب بفضل الله عز وجل وفوجئت بطبعات

بيروتية باسم دار القلم ليس لها خطام ولا زمام ، فلا أدرى هل كان هذا باتفاق مع المحقق أو على الطريقة البيروتية فى الطباعة وعلى كل حال ليس ذلك بإذن المؤلف، ولما كان الكتاب من أول ما كتبته مع قلة المراجع وقلة العلم والخبرة اشتمل الكتاب على بعض الأحاديث الضعيفة فأردت أن أبرىء ساحتى من هذه الأحاديث وأن أتعامل معها كما تعاملت مع " البحر الرائق" و " مختصر بغية الإنسان" وغيرهما من حذف الضعيف وإعادة تحقيق الكتاب وتجهيزه لطبعة اقتصادية ، وتسهيل الحصول عليه لإخواننا من المبتدئين فى طلب العلم .

وزدت فى هذه الطبعة بعض الزيادات واستبدلت بعض الأحاديث الضعيفة بأحاديث صحيحة وربما استبدلت بعض الصحيح الذى ليس فى الصحيحين بما يغنى عنه من أحاديث الصحيحين ولا شك أن مؤلف الكتاب أولى بتحقيقه والناظر فى الجهد المبذول سوف يجد بإذن الله تعالى فائدة جديدة ، وكم من كتاب حققه أكثر من محقق واستفاد الناس من مجهود كل محقق، وقد حافظت على اسم الكتاب دفعاً للتدليس وحتى لايشتريه أحد وهو يملكه ظناً منه أنه مصنف جديد .

أما عن موضوع الكتاب فهو كتاب مختصر عن تزكية النفوس، ويقصد بتزكية النفوس تطهيرها وتطييبها، حتى تستجيب لربها وتفلح فى دنياها وآخرتها كما قال تعالى : [illegible] .

[illegible] [1] .

[1] () رواه مسلم (17/41) الذكر بزيادة فى أوله وآخره، وأحمد (4/371) و (6/209).

1 – الإخلاص والمتابعة
شرطان لقبول العمل

لا يقبل الله عز وجل عملاً من الأعمال حتى يتوفر فيه شرطان فالأول : هو الإخلاص وهو شرط الباطن ، والثانى : هو متابعة سنة الرسول

قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك : من الآية 2) .

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل .

وقال تعالى : ﴿ من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف : من الآية 110) .

أخلصه وأصوبه ، قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

وقال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك : من الآية 2) .

أخلصه وأصوبه ، قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

أ - الإخلاص

الإخلاص : هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل عن جميع الشوائب .

وقيل : هو إفراد الله عز وجل بالقصد فى الطاعات .

وقيل : هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .

والإخلاص شرط لقبول العمل الصالح الموافق لسنة رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه) (رواه النسائى عن أبى أمامة) .

[1] () رواه النسائى(6/25) الجهاد، وحسنه العراقى فى تخريج الإحياء (4/28)، وقال المنذرى فى الـترغيب (1/24): إسـناده جيـد، وحسـنه الألبانى فى الصحيحة رقم (52).

[2] () رواه الترمذى (10/126) العلم، وقال: حديث حسن صحيح، وابـن ماجه (1/84) المقدمة، والدارمى (1/76) ،والبغوى فى شـرح السـنة (1/236)، وأحمد (4/80،82) ، وصححه الألبانى .

بعض الآثار عن الإخلاص

قال يعقوب : " المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته " .

قال السوسى: " الإخلاص فَقْدُ رؤية الإخلاص، فإن مَنْ شاهد فى إخلاصه الإخلاص فَقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص " . وما ذكر إشارة إلى تصفية العمل من العُجْب بالفعل ، فإن الإلتفات إلى الإخلاص، والنظر إليه عُجْب ، وهو من جملة الآفات، والخالص ما صفا عن جميع الآفات .

قال أيوب : " تخليص النيات على العُمّال أشد عليهم من جميع الأعمال " .

وقال بعضهم : " إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكنّ الإخلاص عزيزٌ".

وقيل لسهل: أى شىء أشد على النفس؟ قال : " الإخلاص ،إذ ليس لها فيه نصيب " .

وقال الفُضَيْل : " ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعملُ من أجل الناس شرك، والإخلاص : أن يعافيك الله منهما " .

فضل النيّة

عن عمر بن الخطاب [illegible] : [illegible] " [illegible]
[illegible]
" .

[illegible] : " [illegible]
[illegible] " .

متابعة السنّة

والشرط الثانى لقبول العمل أن يكون العمل مطابقاً لسنة النبى

[1] .

[1] () رواه البخارى (5/301) الصلح ، ومسلم (12/16) الأقضية، والرد هنا بمعنى المردود أى فهو باطل غير مقيد به .

وَمَا آتَـاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا

[1] رواه البخارى (1/234) العلم، ومسلم (16/223، 224) العلم .

وقال الحافظ : " لايقبض العلم انتزاعاً : أى محواً من الصدور، وكـان

تحديث النبى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] () رواه مسلم (3/99، 100) الطهارة ، وقال النووى : فمعناه ظاهر أى تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك .

[2] () رواه البخارى (1/165) العلم، ومسلم (6/97، 98) صلاة المسافرين، وقال الحافظ : قوله : " لا حسد " : أى لا رخصة فى الحسد إلا فى خصلتين : أو لا يحسن الحسد إن حسن، أو أطلق الحسد مبالغة فى الحث على تحصيل الخصلتين .

[3] () رواه الترمذى (9/199، 200) أبواب الزهد، وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد (4/230،231) ، وابن ماجه (4228) الزهد ، وصححه الألبانى .

3 – أنواع القلوب وأقسامها

قال تعالى : ( ) .

[1] () جزء من حديث رواه البخارى (1/126) الإيمان ، ومسلم (11/27، 28) المساقاة والمزارعة وأول الحديث : " إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن ".
قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح قلبه فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها واتقاء الشبهات حذراً من الوقوع فى المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها وانبعث إلى كل المعاصى والشبهات بحسب اتباع هوى القلب (1/284، 285) جامع العلوم والحكم

بتحقيق الأحمدى أبو النور .

علامات مرض القلب

قد يمرض قلب العبد، ويشتد المرض، ولا يعرف به صاحبه، بل قد يموت وصاحبه لايعرف بموته، وعلامة مرضه أو موته، أن صاحبه لا تؤلمه جراحات المعاصى ، ولا يوجعه جهله بالحق، وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان حياً تألم بورود القبائح عليه ، وتألم بجهله بالحق – بحسب حياته – وقد يشعر بالمرض ، ويشتد عليه مرارة الدواء ، فهو يؤثر بقاء الألم على مشقة الدواء .

ومن علامات أمراض القلوب عدولها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن الدواء النافع إلى دائها الضار، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافى على الضار المؤذى ، والقلب المريض بضدّ ذلك، وأنفع الأغذية : غذاء الإيمان ، وأنفع الأدوية : دواء القرآن .

علامات صحة القلب :

أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها، أو أبنائها ، جاء إلى هذه الدار غريباً يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، كما قال [illegible] [1] .

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

---

[1] () رواه البخارى (11/233) الرقاق، وأحمد (2/24، 41)، والترمذى (9/203) الزهد، وأبو نعيم فى الحلية (3/ 301) .

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

* * *

أسباب مرضُ القلبِ

والفتن التى تُعرض على القلوب هى أسباب مرضها، وهى فتن الشهوات والشبهات ،فالأولى : توجب فساد القصد والإرادة ، والثانية: توجب فساد العلم والإعتقاد .

عن حذيفة بن اليمان [illegible] "[illegible]"[1].

[illegible] "[illegible]" [illegible] .

1 () رواه مسلم (2/270 ، 272) الإيمان .
وقوله : " مُرباداً" المربد الذى لونه رُبدة وهى بين السواد والغـبرة ، و " المجخى " هو المائل عن الاستقامة والاعتدال .

مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، عن معاذ [illegible] [1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [2]

[illegible] [3]

---

1 () رواه الترمذى (10/87، 88) الإيمان وقال: حسن صحيح وابن ماجه (3973) الفتن ، والحاكم (2/413) التفسير، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وصححه الألبانى .

2 () رواه الترمذى (9/249) الزهد وقال حسن صحيح، وابن ماجة (3972) الفتن، والدارمى (2/298) الرقاق ، والحاكم (2/313) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى والألباني .

3 () رواه الترمذى (9/247) الزهد، وأحمد (5/259)، وابن المبارك (134) الزهد، وصححه الألبانى لطرقه فى الصحيحة رقم (890).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

4 () رواه البخارى (10/445) الأدب ، ومسـلـم (2/18) الإيمـان ، وأبـو داود (5032) الأدب ، وابن ماجة (3971) الفتن .

2 () رواه البخـارى (11/266) الرقـاق ، ومسـلـم (18/117) الزهـد، والترمذى (9/195) الزهد بلفظ : " إن الرجل ليتكلـم بالكلمـة لايـرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار " وقـال: هـذا حـديث حسـن غريب من هذا الوجه .

فضول النظر

فضول النظر : هو إطلاقه بالنظر إلى الشىء بملء العين، والنظر إلى ما لا يحل النظر إليه وهو على العكس من غض البصر .

والغض : هو النقص وقد أمر الله عز وجل به فقال : (النور : الآية : 30 –وجزء من 31) .

وعن أبى هريرة ﷺ : " [1] .

" [2] .

---

1 () رواه البخارى (10/26) الاستئذان ، وسلم (16/ 205، 206) القدر، وأبـو داود (2139)، النكاح، وأحمد (2/276) .

2 () رواه مسـلم (14/139) الأدب ، والترمـذى (10/229) الادب ، والدارمى(2/228) الاسـتئذان، وأحمـد (4/358، 361)ومعنـى نظـر الفجأة أن يقع بصره علىالاجنبية من= =غيـر قصـد فلا إثـم عليـه فـى أول ذلك ويجب عليه أن يصرف بصـره فـى الحـال ، فـإن صـرف فـى

وفضول النظر يدعو إلى الاستحسان ، ووقوع صور المنظور فى قلب الناظر ، فيحدث أنواعاً من الفساد فى قلب العبد منها :

أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن غضّ بصره لله أورثه حلاوة يجدها فى قلبه إلى يوم يلقاه .

ومنها : دخول الشيطان مع النظرة ، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهواء فى المكان الخالى، ليزين صورة المنظور ، ويجعلها صنماً يعكف عليه القلبُ ، ثم يعده ويمنيه ، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقى حطب المعاصى التى لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة .

ومنها : أنه يشغل القلب ، وينسيه مصالحه، ويحول بينه وبينها ، فينفرط عليه أمره، ويقع فى اتباع الهوى والغفلة .

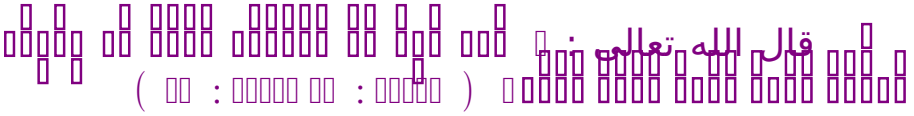

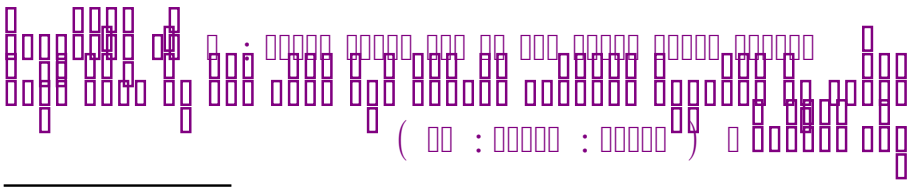

الحال فلا إثم عليه وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث فإن رسول الله 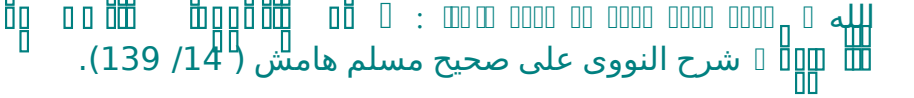 شرح النووى على صحيح مسلم هامش (14/ 139).

وإذا استنار القلب ، أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية ، كما أنه إذا أظلم ، أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان .

وإطلاق البصر كذلك يعمى القلب عن التمييز بين الحق والباطل ، والسنة والبدعة ، وغضهُ لله عزّ وجل يورثه فراسة صادقة يميز بها.

قال أحد الصالحين : " من عمّر ظاهره باتباع السنة ،وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكفّ نفسه عن الشبهات ، واغتذى بالحلال لم تخطىء له فراسة " .

والجزاء من جنس العمل ، فمن غضّ بصره عن محارم الله أطلق الله نور بصيرته .

3 – فضول الطعام

قلة الطعام توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وإنكسار النفس، وضعف الهوى والغضب ، وكثرة الطعام توجد ضد ذلك .

عن المقدام بن مَعْدِ يكرِب قال : سمعتُ رسولَ الله [illegible]

[illegible] [1] .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [2] .

---

[1] () رواه الترمذى (9/244) الزهد وقال : هذا حـديث حسـن صـحيح وابن مـاجه (3349) الأطعـمـة، والحـاكم (4/121) وصـحـحه ووافقـه الذهبى الألبانى .

[2] () رواه البخارى (11/282) الرقاق ، ومسلم (18/105 ، 106) الزهد .

4 – فضول المخالطة

هى الداء العضال الجالب لكل شر ، وكم سَلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة ، وكم زرعت من عداوة ، وكم غرست فى القلب من حزازات تزول الجبال الراسياتُ وهى فى القلوب لا تزول ، ففى فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة ، وإنما ينبغى للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر :

احدهما : مَن مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ، ثم إذا احتاج إليه خالطه ، هكذا على الدوام، هُم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولعباده وهم أقل من القليل .

5 - أسباب حياة القلب وأغذيته النافعة

اعلم أن الطاعات لازمة لحياة قلب العبد لزوم الطعام والشراب لحياة الجسد، وجميع المعاصى بمثابة الأطعمة المسمومة التى تفسد القلب ولابد، والعبد محتاج إلى عبادة ربه عزّ وجلّ فقير إليه فقراً ذاتياً ، وكما يأخذ العبد بالأسباب لحياة جسده من المداومة على تناول الأغذية النافعة فى أوقات متتقاربة ، وإذا تبين له أنه تناول طعاماً مسموماً عن طريق الخطأ أسرع فى تخليص جسده من الأخلاط الرديئة ، فحياة قلب العبد أوْلى بالاهتمام من جسده ، فإن كانت حياة الجسد تؤهله لمعيشة غير منغضة بالمرض فى الدنيا، فحياة القلب تؤهله لحياة طيبة فى الدنيا وسعادة غير محدودة فى الآخرة، وكذلك موت الجسد يقطعه عن الدنيا ، وموت القلب تبقى آلامه أبد الآباد .

وقال أحد الصالحين : " يا عجباً من الناس يبكون على من مات جسدهُ ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد " ، فإذن الطاعات كلها لازمة لحياة القلب وتخص هذه بالذكر – لضرورتها لقلب العبد وشدة الحاجة إليها – ذكر الله عز وجل ، وتلاوة القرآن ، والإستغفار ، والدعاء ، والصلاة على النبى .

1- ذكر الله وتلاوة القرآن

وضرورة الذكر للقلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه - : " الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء" ، وقد ذكر الإمام شمس الدين ابن القيّم ما يقرب من ثمانين فائدة فى كتابه : " الوابل الصيب " ، فننقل بعضها بإذن الله تعالى، وننصح بالعودة إلى الكتاب المذكور لعظيم نفعه، ومن هذه الفوائد :

أن الـذكر قـوت القلـب والـروح، فـإذا فقـه العبـد صـار بمنزلـة الجسـم إذا حيـل بينـه وبيـن قـوته ، ومنهـا أنـه يطـرد الشـيطان ، ويقمعـه ، ويكسـره، ويرضـى الرحمـن عـزّ وجـلّ ويزيل الهـمّ والغـمّ ع ن القلـب، ويجلـب لـه الفـرح والسـرور والبسط ، وينور القلب والوجه، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه محبة الله عزّ وجـل ، وتقـواه ، والإنابـة إليـه، وكذلك يورث العبدّ ذكـر اللـه عـزّ وجـل ، كمـا قـال تعـالى :
 ( ) .

ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً ويورث جلاء القلب من الغفلة، ويحط الخطايا .

ورغم أنه من أيسر العبادات، العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

عن أبى هريرة : "
 " [1] .

---

[1] () رواه البخارى ؛ (6/338، 339) بدء الخلق، ومسـلم (17/17) الذكـر، والترمذى (13/16،17) . الدعاء .

[illegible]

[2] () رواه الترمذى (3531 تحفة) الدعوات، وابن حبان (2335) موارد، والحاكم (1/501، 502) وقال الترمذى : حسن صحيح وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى الصحيحة .

[2] () رواه البخارى (11/208) الدعوات، ومسلم (6/68) صلاة المسافرين بلفظ : " مثل البيت الذى لا يذكر الله فيه ، والبيت الذى يذكر الله فيه مثل الحىّ والميت " .

وقال الله تعالى : ﴿ (يونس من الآية : 57) .

وقال الله تعالى : ﴿ (الإسراء من الآية : 82)

وأمراض القلب تجمعها أمراض الشبهات والشهوات ،والقرآن شفاء للنوعين ، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفيدة للعلم، والتصور ، والادراك بحيث يرى الأشياء على ما هى .

فمن درس القرآن وخالط قلبه ، أبصر الحق والباطل وميزّ بينهما، كما يميز بعينيه بين الليل والنهار ، وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة، بالتزهيد فى الدنيا ، والترغيب فى الآخرة.

وبالجملة فأنفع شيء للعبد هو ذكر الله عزّ وجلّ : ﴿ (الرعد :28) .

وأفضل الذكر تلاوة كتاب الله عزّ وجلّ .

قال الله تعالى : ﴿ ( ) .

2 - الإستغفار

---

1 () رواه البخارى (9/66/67) فضائل القرآن، والترمذى (11/32) ثواب القرآن ، وأبو داود (1439) الصلاة .

2 () رواه البخارى (8/691) التفسير ، ومسلم (6/84) صلاة المسافرين ، وأبو داود (1441) الصلاة ، والترمذى (12/29) فضائل القرآن .

3 () رواه الترمذى (11/34) فضائل القرآن ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وهو طلب المغفرة، والمغفرة : هى وقاية شر الذنوب مع سترها وقد كثر ذكر الاستغفار فى القرآن ، فتارة يؤمر به كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (المزمل من الآية : 20) .

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران من الآية : 17) .

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء من الآية : 110) .

وكثيراً ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة ، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان .

والتوبة عبارة عن : الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح ، وحكم الاستغفار كحكم الداء ، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه ، لاسيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صدف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وإدبار الصلوات .

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه : يا بنى عوّد لسانك : " اللهم اغفر لى " فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً ،وقال الحسن: " أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفى طرقكم ، وفى أسواقكم، وفى مجالسكم ، وأينما كنتم ، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة " .

وعن ابن عمر ﷺ : " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ومن حيث لا يحتسب ومن لا يحتسب "[1].

---

[1] ()رواه أحمد(4726),أبو داود(1500)الصلاة,وبن ماجة(3815)الأدب وصححه الألباني

3- الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر:من الآية : 60) . فأمرنا الله عز وجل بالدعاء ووعدنا بالإجابة ، ثم عقب بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر : من الآية : 60) .

فسبحان الله العظيم، ذى الكرم الفياض والجود المتتابع، جعل سؤال عبده لحوائجه وقضاء مآربه عبادة له ،

---

1 () رواه رواه البخاري (11/101)الدعوات , ومسلم عن ابن عمر (17/24) الذكر بلفظ **"فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة"**

2 () رواه مسلم (17/23) الذكر , وأبو داود (1501) الصلاة وقوله **"ليغان"** أي ليغطي ويغشى , والمراد به السهو .

وطلبه منه وذمه على تركه بأبلغ أنواع الذم فجعله مستكبراً عليه.

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : " [illegible] "[1] :

[illegible]

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (النمل: من الآية : 62) .

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (البقرة : من الآية : 186) .

وعن النعمان بن بشير قال : قال ﷺ : " [illegible] "[2] (غافر: الآية : 60) .

والدعاء يقطع بقوله لعموم الآيات التى قدمنا ذكرها ، وكذلك الأحاديث الآتية - إذا استوفى شروط الصحة .

---

1 () رواه أحمد (2/442) ، والترمذى (12/267، 268) التفسير ، وابن ماجه (3827) الدعاء، والبخارى فى الأدب المفرد (658) ، والحاكم (1/491) ، صححه ووافقه الألبانى .

2 () رواه أبوداود (1446) الصلاة , والترمذي (12/267)التفسير وقال حسن صحيح , وأبن ماجة (3828)الدعاء , والحاكم (1/491) , وصححه ووافقه الألباني .

وعن سلمان ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر" [3].

وعن أبي هريرة ﷺ: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" [2].

وعن أبي هريرة ﷺ: "لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له".

آداب الدعاء

أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة: كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من الليل.

أن يغتنم الأحوال الشريفة: كنزول المطر، وزحف الصفوف في سبيل الله، وحال السجود، لحديث أبي هريرة ﷺ: "ثنتان لا ترد أو قلما ترد: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا" [1].

---

3 () رواه الترمذي (13/68) الدعاء، وقال: حسن غريب، وأبو داود (1474) الصلاة، ابن حبان (2399) موارد، والحاكم (1/497) وصححه ووافقه الذهبي.

2 () رواه الحاكم (1/493)، وصححه ووافقه الذهبي، له شاهد رواه الترمذي (3621) عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما على الأرض رجل يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها أو كشف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم".

[illegible]

[3] () رواه مسلم (4/200) الصلاة ، وأبو داود (3/128) الصالة ، والنسائى (2/226) الصلاة .

[1] () رواه الترمذى (2/13) أبواب الصلاة وحسنه ، وأبو داود (517) الصلاة ، وصححه الألبانى.

[2] () رواه البخارى (11/139) الدعوات، ومسلم (17/6) الذكر .

[3] () رواه مسلم (12/152) الجهاد والسير .

[4] () رواه البخارى (11/140) الدعوات ، ومسلم (17/51) الذكر، والترمذى (12/276) الدعاء ، وأبو داود (1470) الصلاة .

[illegible]

[illegible] (الأنعام : من الآية : 160) .

فما فائدة هذا الحديث؟ قلنا : أعظم فائدة وذلك أن القرآن اقتضى أن من جاء بحسنة تضاعف عشرة ، والصلاة على النبى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] () رواه الترمذى (6413 تحفة) الدعاء، وقال : هـذا حـديث حسـن غريب من هذا الوجه والحاكم (1/549) الدعاء مقتصراً على الفقـرة الأولى ، وقال الألبانى : إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

[2] () رواه النسـائى (3/43) السـهو ، والحـاكم (2/421) التفسـير، وصححه ووافقه الذهبى، وقال الألبانى : إسـناده صـحيح رجـاله رجـال الصحيح .

[3] () رواه مسـلم (4/85) الصـلاة ، وأبـو داود (519) الصـلاة ، والترمذى (13/102) المناقب ، والنسائى (2 /25، 26) الأذان .

[4] () رواه الترمذى (3440 تحفة) الدعاء، وحسنه وصححه الألبانى فى الصحيحة، ومعنى ترة : أى حسرة.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

5 - قيام الليل

الآيات فى فضيلة قيام الليل :

قال الله تعالى : [illegible] (الذاريات: الآية : 17- 18) .
وهى فى وصف المحسنين .

---

1 () رواه أبوداود (1034) الصلاة، والنسائى (3/91، 92) الجمعة، وابن ماجه (1085) الصلاة ، والحاكم (1/278) الجمعة، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبى على شرط البخارى، وصححه الألبانى .

2 () رواه مسلم (4/124، 125) الصلاة ، ومالك فى الموطأ (1/ 165، 166) ، والترمذى (12/95) السهو ، والنسائى (3 /45، 46) .

عن قتادة ومجاهد قالا: كانوا لاينامون ليلة حتى الصـباح .

وعن ابن عباس : لم تكن تمضى عليهـم ليلـة إلا يأخـذوا منها شيئاً .

وقال تعالى فى وصف عباد الرحمن : ﴿ ﴾ (الفرقان: الآية : 64) .

وذكر الله تعالى هذه العبادة الجليلة ثـم عقبها بالجزاء فقال تعـالى : ﴿ ﴾ (السجدة : الآية : 16) .

ثم عقب بقوله تعالى : ﴿ ﴾ (السجدة : الآية : 17) .

ولما أخفوا العمل واستتروا بجنح الظلام أخفى الله عز وجل لهم الأجر .

أما الأخبار فقوله ﷺ : " " [1] .

" " [2] .

" " [3] .

---

1 () رواه مسـلم (8/55) الصـيام ، وأبـو داود (2412) الصـوم، والترمذى (2/227) الصلاة ، والنسائى (3 /207) قيام الليل .

2 () رواه البخارى (3/7) التهجد ، ومسلم (6/ 16) ، الصلاة .

3 () رواه البخـارى (3/34) التهجـد، ومسـلم (6/63، 64) صـلاة المسافرين .

الآثار

كان ابن مسعود

(1) رواه البخارى (3/30) التهجد، ومسلم (6/65 ، 66) صلاة المسافرين .

[illegible] " [illegible] " [1].

[illegible] " [illegible] " [2].

[illegible] " [illegible] " [3].

[illegible] : [illegible]

[illegible] " [illegible] ".

[illegible] : [illegible].

[illegible] : [illegible] :

---

[1] () رواه مسلم (18/93) الزهد، وأبو داود (184) الطهارة ، وقوله : " والناس كنفتيه " أى حوله وفيه أدب سير طلاب العلم مع العالم ، وقوله: " أسك " أى صغير الأذنين .

[2] () رواه مسلم (18/93) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (9/199) الزهد ، ابن ماجه (4108) .

[3] () رواه الترمذى (9/198) الزهد، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى: زكريا ضعفوه، وقال الألبانى : والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه وانظر شواهده فى الصحيحة رقم 943.

" .

" .

" .

ذم الدنيا

اعلم أن الذم الوارد فى الكتاب والسنّة راجع إلى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة ، فإن الله عز وجل جعلهما خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شُكوراً .

وورد فى الأثر : " إن هذا الليل والنهار خزانتان فانتظروا ماتصنعون فيهما " .

وقال مجاهد : " ما من يوم إلا يقول : ابن آدم : قد دخلت ، عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فى ، فإذا انقضى طوى، ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذى يقضيه يوم القيامة " .

وأنشد بعضهم :

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريقٌ والليالى متجرُ الإنسان والأيام سوقٌ فالوقت هـو رأس مال العبد ، وقد صح عن رسول الله [illegible] : " [illegible] : [illegible] " [1] .

[illegible] .

[illegible] : "[illegible] " .

[illegible] : " [illegible] " : [illegible] " [illegible] " .

[illegible]

---

[1] () تقدم تخريجه ص (39) .

[illegible] (الحديد : من الآية : 20) .

وانقسم بنو آدم فى الدنيا إلى قسمين :

أحدهما : مـن أنكـر أن للعبـاد داراً بعـد الـدنيا للثـواب والعقاب ، هؤلاء هم الذين قال الله فيهم : [illegible] (يونس: الآية : 7 -8) .

وهؤلاء همهم التمتع فى الدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت كما قـال تعـالى : [illegible] (محمد : من الآية : 12) .

والقسم الثانى : مـن يقـر بـدار بعـد المـوت للثـواب والعقاب ، وهم المنتسـبون إلـى المرسـلين، وهـم منقسـمون إلى ثلاثة أقسام : ظـالم لنفسـه ومقتصـد ، وسـابق بـالخيرات بإذن الله .

والظالم لنفسه : هم الأكثرون ، وأكثرهم واقف مـع زهرة الدنيا وزينتها ، فأخذها من غير وجههـا ، واسـتعملها فـى غير وجهها ، وصارت الدنيا أكبر همّه ، بها يرضى ، وبها يغضـب ، ولها يوالى ، وعليها يعادى ، وهؤلاء أهل اللعب واللهو والزينـة ، وإن كـانوا يؤمنـون بـالآخرة إيمانـاً مجملاً فهـم لـم يعرفـوا المقصود من الدنيا ، ولا أنها منزلة يتزود فيها لما بعدها .

والمقصتد : من أخذ الدنيا من وجوهها المباحـة، وأدى واجبها، وأمسـك لنفسـه الزائـد علـى المـواجب يتوسـع بـه فـى التمتع بشهوات الدنيا ، وهؤلاء لا عقاب عليهم فى ذلـك إلا أنـه

ينقص درحاتهم كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : [illegible] (الأحقاف: من الآية : 20) .

وأما السابق بالخيرات بإذن الله : فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك ، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده فى الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً كما قال تعالى : [illegible] (الكهف: الآية : 7) .

يعنى : أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة ، ثم قال تعالى : [illegible] (الكهف: الآية : 8) .

فاكتفى السابقون منها بما يكفى المسافر من الزاد، كما قال النبى ﷺ: " [illegible] " [1] .

[illegible] [2] .

[illegible]

---

1 () رواه الترمذى (9/223) الزهد وقال : حسن صحيح، والحاكم (4/301) الرقاق، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، ورواه أحمد (1/391) وصححه الألبانى فى الصحيحة بشاهده رقم 439).

2 () تقدم تخريجه ص (23) .

أضرار حب الدنيا

حب الدنيا هو الذى عمّر النار بأهلها ، الزهد فى الدنيا هو الذى عمّر الجنة بأهلها ، والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بالخمر، فصاحبه لا يبق إلا فى ظلمة اللحد.

قال يحيى بن معاذ : " الدنيا خمر الشيطان ، من سكر منها فلا يفيق إلا فى عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين " ، وأقل ما فيها أنه يلهى عن حب الله وذكره ، ومن ألهاه ماله فهو من الخاسرين ، وإذا لهى القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان ، وصرفه حيث أراد ... ومن فقهه فى الشر أن يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل الخير.

ويقول ابن مسعود : " " .

:

: .

: .

: .

: (هود: الآية : 15 - 16) .

والأحاديث كثيرة ، منها حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار: الغازى ، والمتصدق ،

والقارىء ، الذين أرادوا بذلك الدنيا ، والنصيب . وهو فى مسلم [1] .

فانظر محبة الدنيا كيف حَرَمتْ هؤلاء من الأجر، وأفسدت عليهم عملهم ، وجعلتهم أول الداخلين إلى النار .

رابعاً : أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه فى الآخرة باشتغاله عنه بمحبوه ، والناس ها هنا مراتب : فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه ، ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات ، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها – وإن قام بغيره – ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى ، فيفرط فى وقته وفى حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه فى الواجب ، وتفريغه لله عند أدائه ، فيؤديه ظاهراً لا باطناً ، وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها ، هذا من أندرهم وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد ، وهو تفريغ القلب لحب الله ، و لسانه لذكره ، وجمع قلبه على لسانه ، وجمع لسانه وقلبه على ربه ، فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد ، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا .

خامساً : أن محبتها تجعلها أكبر همّ العبد، وقد روى الترمذى من حديث أنس بين مالك □ □□□ : □□□ □□□□ □□□□ □ : " □□ □□□□ □□□□□□□ □□□ □□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□ □□□□□□ □□ □□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□□□□□ □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□ □ □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□ □□□□□□ □ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□□ □□□ □□□ □□ □□□ □□□□□□□ □□ □□□□ □□□ □□ □□□ □□ " [2] .

□

□□□□□□ : □□ □□□□□□ □□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□□ □□□□ □□ □□□□ □□□ □□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□ □□□□□□□ : □□□□ □□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□

---

1 () رواه مسلم (13/50، 51) الجهاد والسير .

2 () رواه الترمذى (2583 تحفة) صفة القيامة وسكت عنه وقال الألبانى : وهو إسناد ضعيف لكنه حسن فى المتابعات وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان : وهو فى الصحيحة رقم 949.

(التوبة: الآية : 55) .

قال بعض السلف : " يعذبهم بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون بمنع حق الله فيها " .

وسابعها : أن عاشقها ومحبها الذى يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً ، إذ آثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم ، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد فى أرغد عيش بحياة إنما هى أحلام نوم، أو كظل زائل، إن اللبيب بمثلها لا يخدع.

وكان بعض السلف يتمثل هذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغتراراً بظل زائل حمق

قال يونس بن عبد الأعلى : " ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك انتبه " .

وأشبه الأشياء بالدنيا: الظل تحسب له حقيقة ثابتة وهو فى تقلص وانقباض فتتبعه لتدركه فلا تلحقه، وأشبه الأشياء بها السراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ،

ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب ، وأشبه الأشياء بها : عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر ، غدارة بالأزواج، تزينت للخطاب بكل زينة ، وسترت كل قبح، فاغتر بهامن لم يجاوز بصره ظاهرها، فطلب النكاح، فقالت : لا مهر إلا فقد الآخرة ، فإننا ضرتان ، واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح، فآثر الخطاب العاجلة ، وقالوا : ما على مَن واصل حبيبته من جناح، فلما كشف قناعها ، وحل إزارها، إذا كل آفة وبلية ، فمنهم من طلق واسترح، ومنهم من اختار المقام، فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح .

تالله لقد أذن مؤذنها على رؤوس الخلائق ، بحىّ على غير الفلاح، فقام المجتهدون والمصلون لها فواصلوا فى طلبها الغدو بالرواح، وسروا ليلهم ، فلم يحمد القوم السرى عند الصباح،طاروا فى صيدها ، فما رجع أحد منهم إلا وهو مكسور الجناح ، فوقعوا فى شبكتها، فأسلمتهم للذبّاح .

7 - أحوال النفس ومحاسبتها

اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سولكهم على أن النفس قاطعة بين القب وبين الصول إلى الربّ ، وأنه لايدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها، وتركها بمخالفتها ، والظفر بها.

فإن الناس على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته، وصار طوعاً لها تحت أوامرها ، وقسمٌ ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعاً لهم ، منقادة لأوامرهم .

لا بع ض العـارفين : انتهـ ى سـفر الطـالبين إلـى الظفـر أنفسهم ، فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك، قال الله تعالى :

(النازعات: الآية : 37-41) .

والنفس تدع إلى الطغيان ، وإيثار الحياة الدنيا والربّ يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى، والقلبُ بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعى مرة , وإلى هذا مرة ، وهذا موضع المحنة والإبتلاء ، وقد وصف الله سبحانه النفس فى القرآن بثلاث صفات : المطمئنة ، واللوامة ، والأمارة بالسوء فاختلف الناس : هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها، أم للعبد ثلاثة أنفس ؟ .

فالأول قول الفقهاء والمفسرين، والثانى قول كثير من أهل التصوف، والتحقيق : أنه لانزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاثة باعتبار صفاتها .

النفس المطمئنة :

إذا سكنت النفس إلى الله عزّ وجلّ واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه ، فهى مطمئنة ، وهى التى يقال لها عند الوفاة .

[illegible] (الفجر : 27-28) .

قال ابن عباس [illegible]

[illegible] (التغابن : من الآية 11) .

قال غير واحد من السلف : هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنا من عند الله فيرضى ويسلم .

وأما طمأنينة الإحسان فهي الطمأنينة إلى أمره امتثالاً وإخلاصاً ونصحاً ، فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى ، ولا تقليداً ، ولا يساكن شبهة تعارض خبره، ولا شهوة تعارض أمره ، بل إذا مرّت به أنزلها منزلة الوساوس التى لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يجدها، فهذا كما قال النبى [illegible][1] [illegible] .

[illegible]

[illegible]

[illegible] :

---

1 () رواه مسلم (2/153) الإيمان ولفظه عن أبى هريرة قال : جاء ناس من أصحاب النبى [illegible] [illegible]".

).

(الزمر : من الآية 56) .

فاستقبل بقية عمره مستدركاً ما فات ، محيياً ما مات ، مستقبلاً ما تقدم له من العثرات، منتهزاً فرصة الإمكان التى إن فاتت فاته جميع الخيرات، ثم يلحظ فى نور تلك اليقظة وفور نعمة ربه عليه ، ويرى أنه آيسٌ من حصرها وإحصائها ، عاجزٌ عن آداء حقها ، ويرى فى تلك اليقظة عيوب نفسه ، وآفات عمله ، وما تقدم له من الجنايات والإساءات والتقاعد عن كثير من الحقوق والواجبات ،فتنكسر نفسه وتخشع جوارجه ، ويسير إلى الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعمه، ومطالعة جناياته ، وعيوب نفسه ، ويرى أيضاً فى ضوء تلك اليقظة عزة وقته ، وخطره ، وأنه رأس مال سعادته فيبخل به فيما لا يقربه إلى ربه ، فإن فى إضاعته الخسران والحسرة ، وفى حفظه الربح والسعادة .

فهذه آثار اليقظة وموجباتها ، وهى أول منازل النفس المطمئنة التى ينشأ منها سفرها إلى الله والدار الآخرة.

النفس اللوامة

قالت طائفة : هى التى لاتثبت على حال واحدة ، فهى كثيرة التقلب والتلون، فتذكر وتغفل ، وتقبل وتعرض ، وتحب وتبغض ، وتفرح وتحزن ، وترضى وتغضب ، وتطيع وتتقى .

وقالت أخرى : هى نفس المؤمن ، قال الحسن البصرى: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً يقول : ما أردت هذا ؟ لم فعلت هذا ؟ كان هذا أولى من هذا ؟ أو نحو هذا الكلام .

وقالت أخرى : اللوم يوم القيامة ، فإن كلّ أحد يلوم نفسه إن كان مسيئاً على إساءته ، وإن كان محسناً على تقصيره .

يقول الإمام ابن القيّم : وهذا كله حق .
واللوامة نوعان : لوامة ملومة ، ولوامة غير ملومة .

اللوامة الملومة : هى النفس الجاهلة الظالمة ، التى يلومها الله وملائكته.

اللوامة غير الملومة : وهى التى لاتزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله - مع بذله جهده – فهذه غير ملومة وأشرف النفوس من لامت نفسها فى طاعة الله، واحتملت ملام اللوام فى مرضاته، فلا تأخذها فى الله لومة لائم ، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها، ولم تحتمل فى الله ملام اللوام ، فهى التى يلومها الله عز وجلّ .

النفس الأمارة السوء :

وهذه النفس المذمومة ، فإنها تأمر بكل سوء ،وهذا من طبيعتها ، فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق الله ، كما قال تعالى حاكياً عن أمرأة العزيز:

(يوسف : الآية 53) .

وقال عز وجل : ﴿ ﴾ (النور : من الآية 21) .

وكان ﷺ يقول : " [illegible] "[1] .

[illegible]

[illegible] .

[illegible]:

[illegible].

[illegible]

[illegible] .

[illegible]

---

[1] () رواه أبو داود (2118) النكاح ، وقال الألبانى: صحيح، وانظر رسالته : خطبة الحاجة للألبانى .

محاسبة النفس

علامة استيلاء النفس الأمارة بالسوء على قلب المؤمن محاسبتها والتضييق عليها وسؤالها عن كل قول وعمل .

قال الحسن : " المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله ، وإنما خف الحساب يوم القيامة لى قوم حاسبوا

أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة " .

إن المؤمن يفاجئه الشىء ويعجبه فيقول : والله إنى لأشتهيك ، وإنك لمن حاجتى ، ولكن والله ما من حيلة إليك ، هيهات حيل بينى وبينك ويفرط منه الشىء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ؟ ! ما لى ولهذا ؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً . إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بين هلكتهم ، إن المؤمن أسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه، وفى بصره ، وفى لسانه ، وفى جوارحه ، مأخوذ عليه فى ذلك كله .

قال مالك بن دينار: " رحم الله عبداً قال لنفسه : ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ، ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائداً " .

فحق على الحازم المؤمن بالله وباليوم الآخر أن لايغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها ، وخطراتها، فكل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة ، يمكن أن يشترى بها كنزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد ، فإضاعة هذه الأنفاس ، أو اشتراء صاحبها بها مما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً ، وإنما يظهر لهم حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران : من الآية 30) .

ومحاسبة النفس نوعان : نوع من قبل العلم ونوع بعده :

أما النوع الأول : فهو أن يقف عند أول همّه وإرادته ، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانهُ على تركه .

قال الحسن رحمه الله : " رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه ، وإن كان لغيره تأخر "

وشرح بعضهم هذا فقال : إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال، وهمّ به العبد، وقف أولاً ونظر : هل ذلك العلم مقدور عليه، أو غير مقدور ، ولا مستطاع ، فإن لم يكن مقدور لم يقدم عليه، وإن كان مقدوراً عليه وقف وقفة أخرى ، ونظر : هل فعلهُ خير له من تركه، أم تركه خير له من فعله، فإن كان الثانى تركه ولم يقدم عليه ، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة : هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه ،أم إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق ، فإن كان الثانى لم يقدم ، وإن أفضى به إلى مطلوبه ، لئلا تعتاد النفس الشرك ، ويخف عليها العمل لغير الله ، فبقرد ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يصير أثقل شىء عليها ، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى: ونظر هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاج إلى ذلك أم لا ؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ليسأل الصادقين عن صدقهم (الأحزاب : من الآية 8) .

فإذا سئُل الصادقون عن صدقهم، وحوسبوا على صدقهم ، فما الظن بالكاذبين .

فوائد محاسبة النفس

1 – الاطلاع على عيوب نفسه : ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها ، قال يونس بن عبيد: " إنى لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن فى نفسى منها واحدة " .

وقال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما قدر أحد أن يجلس إلىّ .

وعن أبى الدرداء قال: " لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى جنب الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً " .

3- أن يعرف حق الله تعالى عليه، فإن ذلك يورثه مقت نفسه ، والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ، ويفتح له باب الخضوع والذل والإنكسار بين يدى ربه ، واليأس من نفسه ، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته ، فإن من حقه أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر .

8 - الصبر والشكر

فلما كان الإيمان نصفين فنصف صبر ونصف شكر، كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتنها أن لايهمل هذين الأصلين العظيمين، وأن يجعل سيره إلى الله عز وجل فى هذين الطريقين القاصدين ، ليجعله الله يوم القيامة مع خير الفريقين .

أ - الصبر

فضائله :

أن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لايكبو ، وصارماً لاينبو ، وجنداً غالباً لايهزم ، وحصناً حصيناً لايهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان ، وقد مدح الله عز وجل فى كتابه الصابرين ، وأخبر أنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب ، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين ، فقال تعالى : **وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (الأنفال : من الآية 46)

فظفـر الصـابرون بهـذه المعيـة بخيـر الـدنيا والآخـرة، ففازوا بها ينعمه الباطنة والظاهرة ، وجعل سبحانه الإمامة فى الدين منوطـة بالصـبر واليقين فقـال تعـالى – وبقـوله اهتـدى المهتدون : ﴿ [illegible] ﴾ (السجدة : الآية 24)

وأخبر تعـالى أن الصبر خيرٌ لأهله مؤكداً باليمين ، فقـال تعالى : ﴿ **وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾ (النحـل : من الآية 126)

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيدٌ العـدو ولـو كـان ذا تسـليط ، فقـال تعـالى : ﴿ **وَإِن تَصْـبِرُواْ وَتَتَّقُـواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُـونَ مُحِيـطٌ** ﴾ (آل عمران : من الآية 120)

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى، فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَـابِرُواْ وَرَابِطُـواْ وَاتَّقُـواْ اللّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران : الآية 200)

وأخـبر عـن محبتـه لأهلـه ، وفـى ذلـك أعظـم ترغيـب للراغبين، فقـال تعـالى : ﴿ **وَاللّهُ يُحِـبُّ الصَّـابِرِينَ** ﴾ (آل عمران : من الآية 146)

وبشّر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الـدنيا يتحاسدون : فقال تعالى : : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّـذِينَ إِذَا أَصَـابَتْهُم مُّصِـيبَةٌ قَـالُواْ إِنَّـا لِلّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعـونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة : من الآية 155 والآية 156، 157)

وجعل الفوز بالجنة ، والنجاة مـن النـار، لايحظـى بـه إلا الصابرون، فقال عز وجـلّ : : ﴿ **إِنِّـي جَزَيْتُهُـمُ الْيَـوْمَ بِمَـا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ (المؤمنون : الآية 111)

وخص فى الانتفـاع بآيـاته أهـل الصـبر ، وأهـل الشـكر ، تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور ، فقال فى أربع آيات مـن كتـابه جل وعلا : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ (من الآيات : إبراهيم : 5 ، لقمان 31 ، سبأ 19 ، الشورى 33)

والصبر آخية المؤمن التى يجول ثم يرجع إليهـا ، وسـاقُ إيمانه التى لا اعتماد له إلا عليها ، فلا إيمـان لمـن لا صـبر لـه، وإن كان فإيمان قليل فى غاية الضـعف ، وصـاحبه ممـن يعبـد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن بـه، وإن أصـابته فتنـةٌ انقلب علـى وجهـه خسـر الـدنيا والآخـرة ، ولـم يحـظ منهـا إلا بالصـفقة الخاسـرة ، فخيـر عيـش أدركـه السـعداء بصـبرهم، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحى الصبر والشكر إلى جنات النعيم ، لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ (الحديد : من الآية 21)

معنى الصبر وحقيقتة

الصبر لغة : هو المنع والحبس ، وشرعاً فهو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكى، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحوهما .

وقيل : هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها .
سئل عنه الجنيد فقال : " تجرع المرارة من غير تعبس " .

وقال ذو النون المصرى: " هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غُصص البلية، وإظهار الغنى مع الحلول الفقر بساحات المعيشة ".

وقيل : " الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب " .

وقيل : " هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى " .

ورأى أحد الصالحين رجلاً يشتكى إلى أخيه فقال له : ياهذا ، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقيل فى ذلك :

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكى الرحيم إلى الذى لايرحمُ

والشكوى نوعان: شكوى إلى الله عز وجل وهـذه لا تنـافى الصـبر ، كقـول يعقـوب : **إِنَّمَـا أَشْـكُو بَثِّـي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ** (يوسف : من الآيـة 86) م ع قـوله : : **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** (يوسف : من الآية 83)

والنوع الثانى : شكوى المبتلى بلسان الحال أوالمقال، فهذه لاتجامع الصبر بل تضاده وتبطله .

وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر ، ولا يناقض هذا قوله : " " .

" : " .

- 67 -

[illegible]

[illegible] .

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] .

[illegible] .

[illegible]: "
."

[illegible] **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ عَـنْ ذِكْـرِ اللَّـهِ** (المنافقون : مـن الآية 9)

أما النوع الثانى المخالف للهوى : فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى، أو لا يرتبط أوله باختياره كالمصائب ، أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له فى إزالته بعد الدخول فيه.

فها هنا ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

ما يرتبط باختياره ، وهو جميع أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية فأما الطاعة فالعبد محتاج إلى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية، أما فى الصلاة فلما فيها من الكسل وإيثار لراحة لا سيما إذ اتفق مع ذلك قسوة القلب، ورين الذنب والميل إلى الشهوات ، ومخالطة أهل الغفلة .

وأما الزكاة فلما فى طبع النفس من الشح والبخل ، وكذلك الحج، والجهاد للأمرين جميعاً ، ويحتاج العبد إلى الصبر فى ثلاثة أحوال: قبل الشروع فى الطاعة ، وذلك بتصحيح النية ، والإخلاص فى الطاعة ، وحين الشروع فى الطاعة ، وذلك بالصبر على دواعى التقصير والتفريط ، واستصحاب النية ولا يعطله قيام الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه .

والثالثة بعد الفراغ من الطاعة ، وذلك بالصبر على ما يبطلها ، فليس الشأن فى الإتيان بالطاعة ، وإنما الشأن فى حفظها مما يبطلها، فيصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر، وكذلك يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، فإن العبد يعمل العمل سراً بينه وبين الله سبحانه، فيكتب فى ديوان السر ، فإن تحدث به نقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فلا يظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل.

أما الصبر عن المعاصى فأمره ظاهر ، وأعظم ما يعين عليه قطع المألوفات ، ومفارقة الأعوان عليه فى المجالسة والمحادثة .

القسم الثانى :

مالا يدخل تحت الإختيار، وليس للعبد حيلة فى دفعه كالمصائب، وهى إما أن تكون مما لا صنع لآدمى فيه كالموت والمرض والثانى: ما أصابه من جهة آدمى كالسب والضرب .

فالنوع الأول : للعبد فيه أربعة مقامات : مقام العجز ، وهو الجزع والشكوى , والثانى : مقام الصبر ، والثالث : مقام الرضى، والرابع : مقام الشكر وهو بأن يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها .

وما أصابه من جهة الناس فله فيه هذه المقامات مضافاً إليها أربعة أخر: الأول : مقام العفو ، والثانى : مقام سلامة الصدر من إرادة التشفى، الثالث : مقام القدر ، والرابع : مقام الإحسان إلى المسىء .

القسم الثالث

مما يكون وروده باختياره ، فإذا تمكن منه لم يكن له اختيار، ولا حيلة فى دفعه .

الأخبار الواردة فى فضيلة الصبر

عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ : " ما من [illegible] ([illegible]) ﷺ [illegible] : [illegible] ... " .[1]

---

[1] () رواه مسلم (6/220، 221) الجنائز، ومالك فى الموطأ (1/236) الجنـائز ، وأبـو داود (3309) الجنـائز بمعنـاه ، وابـن مـاجه (1598) الجنائز .

وعن أبي هريرة □ □□ رسول الله □ قال : " من يرد □□□□ □□ خيراً يصب □□□ "[1] .

□□□ عائشة رضي □□□□ □□□□ قالت □□□ □□□□ □□□□ □ : " □□ □□ □□□□□□ □□□□□ إلا كفّر □□□□ □□□ □□□ حتى □□□□□□□ □□□□□□□ "[2] .

□□□ □□□ □□□□□ □ □□□ : □ □□□ □□□□□ □□□□ □ : " إذ □□□ □□□□□□ □□□ □□□□□ □□□ □□□ مثل □□ □□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□ "[3] .

□□ □□□□□ □□ □□□□□□ □□□ : □□□□□□ □□□□ □□□□□ □ – □□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□ ظل – □□□□□□ : □□□□□□□ □□□ ، □□□ □□□□□ □□□ □ □□□□ : " □□ □□□ □□□□□□ □□ □□□□ الرجل □ □□□□□ □□ □□ □□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□ فيجاء □□□□□□□□□ □□□□□ □□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □ ويمشط □□□□□□□ □□□□□□ □□ □□□ □□□□ □ □□□□□□ □□□ □□□□□ □□□ □□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□ □□□□□□ □□□ □□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□ غنمه □ □□□□□□□ □□□□□□□□ "[4] .

الآثار : □□□ □□□ □□□□□□ : □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ الآخرة □□ □□□□□□□□ " .

□□□ □□□□□□ □□ □□□□□□ □□ □□□□□ □□□□□□ : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ (السجدة : من الآية 24)

---

1 () رواه البخارى (10 / 103) المرضى، ومالك فى الموطأ (2/941) العين .
2 () رواه البخارى (10 / 103) المرضى، ومسلم (16/129) البر والصلة .
3 () رواه البخارى (6 / 136) الجهاد، وأبو داود (3075) الجنائز .
4 () رواه البخارى (7 / 202) مناقب الأنصار .

لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً ، ولما أرادوا قطع رجل عروة ابن الزبير قالوا له : لو سقيناك شيئاً كيلا تشعر بالوجع، قال : إنما ابتلانى ليرى صبرى أفأعارض أمره ؟!

قال عمر بن عبد العزيز : " ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه .

ومرض أبو بكر الصديق فعادوه فقالوا : ألا ندعو لك الطبيب، فقال " قد رآنى الطبيب، قالوا : فأى شىء قال لك ؟ فقال : قال : " إنى فعال ما أريد " .

ورُوى أن سعيد بن جبير قال : " الصبر : اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ، ورجاء ثوابه ، وقد يجزع العبد وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر " .

فقوله : اعتراف العبد لله بما أصابه كأنه تفسير لقـوله : ﴿ ﴾ (البقرة : من الآية 156) . فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد، وراحياً بهما عند اللـه كـأنه تفسـير لقوله : ﴿ **وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** ﴾ (البقرة : مـن الآيـة 156) . أى نرد إليه فيجزينا على صبرنا ، ولا يضيع أجر المصيبة .

ب - الشكر

الشكر : هو الثناء على المنعم بما أولاكه من معروف .

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان – لايكون شكراً إلا بمجموعهما – وهى : الاعتراف بالنعمة باطناً ، والتحدث بها ظاهراً والاستعانة بها على طاعة الله ، فالشكر يتعلق بالقلب واللسان ، والجوارح ، لاستعمالها فى طاعة المشكور وكفها عن معاصيه .

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به ، فقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ (النساء : من الآية 147)

وأخبر سبحانه عن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال عز وجل : ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ (الأنعام : الآية 53)

وقسم الناس إلى شكور وكفور ، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله ، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ (الإنسان : الآية 3)

وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ (إبراهيم : الآية 7)

فعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره ، وقد وقف الله سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة .

كقوله تعالى : ﴿ **فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء** ﴾ (التوبة : من الآية 28)

وقال فى المغفرة : ﴿ **وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء** ﴾ (المائدة : من الآية 40)

وقال فى التوبة : ﴿ **وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء** ﴾ (التوبة : من الآية 15)

وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً حيث ذكره كقوله تبارك وتعالى : ﴿ ﴾ (آل عمران : من الآية 145)

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر ، وأنه من أجل المقامات وأعلاها ، يجتهد غايته أن يسعى فى قطع الناس عنه ، فقال : ﴿ ﴾ (الأعراف : من الآية 17)

ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى : ﴿ ﴾ (سبأ : من الآية 13)

وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ : [illegible] : " [illegible] " [1] .

[illegible] : " [illegible] " [2] .

[illegible] : ﴿ ﴾ (التوبة : من الآية 72) .

فى مقابلة شكره بالحمد والشكر قيد النعم وسبب المزيد ، قال عمر ابن عبد العزيز: " قيدوا نعم الله بشكر الله" وذكر ابن أبى الدنيا عن علىّ بن أبى طالب ﷺ [illegible] : " [illegible] " .

---

[1] () رواه البخارى (3 / 41) التهجد . ومسلم (17/162) صفات المنافقين ، والترمذى (2/204، 205) ، والنسائى (3/219) قيام الليل .

[2] () رواه مسلم (17/51) الذكر والدعاء ، والترمذى (8/9) الأطعمة .

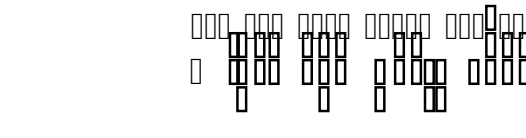
(الضحى : الآية 11) .

والله تعالى يحب أن يرى أثـرُ نعمتـه علـى عبـده ، فـإن ذلك شكرها بلسان الحال.

وكان أبو المغيرة إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا محمـد ؟ قال : " أصبحنا مغرقيـن فـى النعـم، عـاجزين عـن الشـكر، يتحبـب إلينـا ربنـا وهـو غنـىٌ عنـا ، ونتمقـت إليـه ونحـن إليـه محتاجون " .

وقال شريح: " ما أصيب عبدٌ بمصيبة إلا كـان للـه عليـه فيها ثلاث نعم : ألا تكون كانت فى دينه ، وألا تكون أعظم مما كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت ".

وقال يـونس بـن عبيـد: قـال رجـل لأبـى تميمـة ، كيـف أصبحت ؟ قال : " أصبحت بيـن نعمـتين لا أدرى أيتهـا أفضـل : ذنوب سترها الله علىّ فلا يستطيع أن يعيرنى بها أحد ، ومـودة قذفها الله فى قلوب العباد لا يبلغه،ا عملى " .

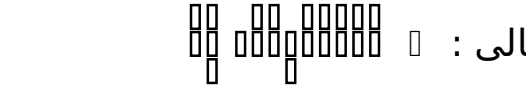
(القلم : من الآية 44) .

قال : يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر ، وقال غير واحد،: " كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة " .

قال رجل لآبى حازم : ما شكر العينين يا أبا حازم؟ فقال : إنى رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بها شراً سترته.

قال فما شكر الأذنين؟ قال : إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفعته.

قال : فما شكر اليدين ؟ قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما .

قال : فما شكر البطن ؟ أن يكون أسفله طعاما وأعلاه علماً .

قال : فما شكر الفرج : قال تعالى : 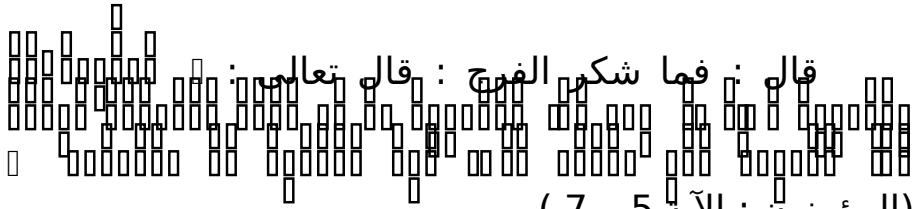 (المؤمنون : الآية 5 – 7) .

قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكرالله .

وأما من شكر بلسانه ، ولم يشكر بجميع أعضائه ، فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه ، فما ينفعه ذلك من الحر، والبرد ، والثلج، والمطر .

وكتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد فقد أصبح بنا من نعم الله مالا نحصيه من كثرة ما نعصيه، فما ندرى أيهما نشكر، أجميل ما يَسّر ، أم قبيح ما ستر ؟ ! .

9 - التوكل

التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة .

قال الله عز وجل : 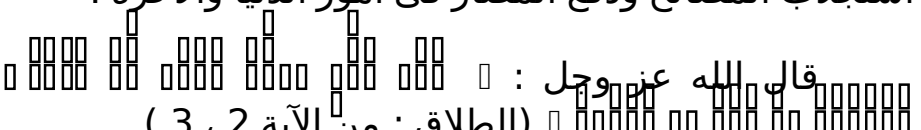 (الطلاق : من الآية 2 ، 3) .

فمن حقق التقوى والتوكل ، اكتفى بذلك فى مصالح دينه ودنياه.

وعن عمر بن الخطاب [illegible] : " [illegible] "[1].

[illegible] : [illegible] .

[illegible]: " [illegible] " .

(النساء : من الآية 71) .

قال سهل : " من طعن فى الحركة يعنى فى السعى والكسب فقد طعن فى السنة ، من طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان"، فالتوكل حال النبى [illegible] .

والأعمال التى يعملها العبد ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الطاعات التى أمر الله بها عباده، وجعلها سبباً للنجاة من النار ودخول الجنة، فهذا لابد من فعله،

[1] () رواه الترمذى (10/208) الزهد، وقال صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (64 ، 41)، والحاكم (4/318) الرقاق، وقال صحيح ولم يخرجاه، وصححه الألبانى .

مع التوكل على الله عز وجل فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لاحول ولا قوة إلا به، وما شاء سبحانه كان ومالم يشأ لم يكن ، فمن قصّر فى شىء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة فى الدنيا والآخرة شرعاً وقدراً .

قال يوسف بن أسباط : " قال اعملْ عملَ رجل لاينجيه إلا عَمَلُه، وتوكل توكل رجل لايصيبه إلا ما كُتب له " .

القسم الثانى: ما أجرى الله العادة به فى الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والإستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد ، ونحو ذلك ، فهذا أيضاً واجب على المرء تعاطى أسبابه ومن قصّر فيه حتى تضرر بتركه – مع القدرة على استعماله – فهو مفرط يستحق العقوبة .

القسم الثالث : ما أجرى الله العادة به فى الدنيا فى الأعم الأغلب ، وقد يخرق العادة فى ذلك لمن شاء من عباده وهى أنواع : كالأدوية مثلاً وقا اختلف العلماء : هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوى أم تركه لمن حقق التوكل على الله ؟

فيه قولان مشهوران، وظاهر كلام الإمام أحمد أن التوكل لمن قوى عليه أفضل لما صح عن النبى ﷺ " [illegible] "[1] .

---

[1] () رواه البخارى (10/155) الطب ،(3/88) الإيمان، الترمذى (9/267) صفة القيامة وفيه زيادة : " مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته"، وقال : هذا حديث حسن صحيح، وحسن الألبانى هذه الزيادة .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

10 – محبة الله عز وجلّ

المحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها كالشوق ، والإنس والرضى، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة ، والصبر، والزهد، وغيرها .

وأنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها، وأعلاها، وأجلها، محبة من جبلت القلوب على محبته ، وفطرت الخليقة على تأليهه، فإن الإله هى التى تألهه القلوب بالمحبة ، والإجلال، والتعظيم، والذل له ، والخضوع، والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده ، والعبادة : هى كمال الحب مع كمال الخضوع والذل .

والله تعالى يُحَبّ لذاته من جميع الوجوه ، وما سواه فإنما يحب تبعاً لمحبته، وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة، ودعوة جميع الرسل، وفطرته التى فطر عباده عليها ، وما ركّب فيهم من العقول، وما أسبغ عليهم من النعم، فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم

عليها، وأحسن إليها، فكيف بمن كل الإحسان منه ، وةما يخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لاشريك له ، كما قال تعالى : (النحل : الآية 53) .

وما تعرف به إلى عباده من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كمالاته ونهاية جلاله وعظمته .

قال تعالى : (البقرة : من الآية 165) .

وقال تعالى : (المائدة : من الآيتين 53، 54) .

وقد أقسم النبى : " " [1] .

---

[1] () رواه البخارى (1/58) الإيمان، وسلم (2/15) الإيمان، وقال الحافظ: قوله :"لايؤمن " أى إيمانا كاملاً .وقال القاضى عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة= =ثلاثة أقسام: محبة إحلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة وإحسان كمحبة سائر الناس، فجمع : .

[1] ( ) رواه البخارى (11/523) الإيمان والنذور .

[1] () رواه البخارى (13/464) التوحيد ، ومسلم (6/38، 39) صلاة المسافرين، والترمذى (13/30) الدعوات ، وأبو داود (1301) الصلاة .

11 - الرضا بقضاء الله عز وجل

للعبد فيما يكره درجتان : درجة الرضى، ودرجة الصبر، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتم.

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلى وخيرته لعبده فى البلاء وأنه غيرمتهم فى قضائه ، وتارة يلاحظون عظمة المبتلى وجلاله وكماله فيستغرقون فى مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم ، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة ، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره من حبيبهم .

والفرق بين الرضى والصبر: أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط –مع وجود الألم – وتمنى زوال ذلك ،وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم – وإن وجد الإحساس بالألم – لكن الرضى يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين وزالمعرفة ، وإذا قوى الرضى فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

قال ابن مسعود : " [illegible] " .

[illegible] (التغابن : من الآية 11) .

هى المصيب تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وقال النبى : " [illegible] "[1] .

---

[1] () رواه مسلم (2/2) الإيمان ، والترمذى (10/91) الإيمان ، قال صاحب التجويد : معنى رضيت بالشىء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث : لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع فى غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد [illegible] .

من الآية 97) . الرضا والقناعة .

قال الحسن : ": من رضى بما قسم له وسعه وبارك الله فيه، ومن لم يرض لم يسعه ، ولم يبارك له فيه " .

وقال عمر بن عبد العزيز: " ما بقى لى سرور إلا فى مواقع القدر"، وقيل له ما تشتهى ؟ فقال : " ما يقضى الله عز وجل " .

وقال عبد الواحد بن زيد : " الرضا باب الله الأعظم ،وجنة الدنيا ، ومستراح العابدين " .

---

[1] () رواه مسلم (4/86) الصلاة، وأبو داود (521) الصلاة ، والترمذى (2/11، 12).

وقال بعضهم : " لن يُرى فى الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالى فى كل حال ، فمن وهب له الرضا فقد تبلغ أفضل الدرجات"

وأصبح أعرابى وقد ماتت له أباعر (جمع بعير) كثيرة فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عبادته لولا شماتة أعداء ذوى إحن

ما سرنى أن إبلى فى مباركها وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

12 – الخوف والرجاء

الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محدود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء، ولا يقصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذاً من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبل التوصل إلى الجمع بينهما والله الموفق للخيرات الهادى لأعلى الدرجات .

أ - الرجـــاء

هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده .

وإذا كانت الأسباب غير موجودة فاسم الغرور والحمق عليه أصدق، وإذا كان الأمر مقطوعاً فلا يسمى رجاء إذ لا

يقال: أرجو طلوع الشمس ، ولن يمكن أن يقال : أرجو نزول المطر .

وقد علم علماء القلوب : أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض والإيمان كالبذور فيها ، والطاعة جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها.

والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التى لاينمو فيها البذر، ويوم القيامة هو الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو بذر إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب ، وسوء أخلاقه، وكما لاينمو بذر فى أرض سبخة فينبغى أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع ، فكل من طلب أرضاً طيبة ، وألقى فيها بذراً طيباً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه فى أوقاته، ثم نقى الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذرة أو يفسده، ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سُمى انتظاره رجاءاً ، وإن بث البذر فى ارض صلبة سبخة مرتفعة لا تصل إليها الماء، ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه، سُمى انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاءاً .

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختيار العبد، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات ، فالعبد إذا بذر الإيمان ، وسقاه بماء الطاعات ، وطهّر قلبه من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاءاً حقيقياً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ (البقرة : الآية 218) .

يعنى أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء.

ومن كان رجاؤه هادياً له إلى الطاعة، زاجراً له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كان رجاؤه داعياً له إلى البطالة والانهماك فى المعاصى فهو غرور .

ومما ينبغى أن يُعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور :

الأول : محبة ما يرجوه .
الثانى : خوفه من فواته .
الثالث : سعيه فى تحصيله .

أما رجاء لا يقارنه شىء من ذلك فهو من باب الأمانى ، والرجاء شىء والأمنى شىء آخر .

وكل راج خائف ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات .

عن أبى هريرة ﷺ : [illegible] : " [illegible] " [1] .

---

[1] () رواه الترمذى (10/227) صفة القيامة،وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم (4/308) الرقاق، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى والألبانى. ومعنى أدلج : أى سار من أول الليل، والمعنى : أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق .

أخبار الرجاء

الآيات : قوله سبحانه وتعالى : [illegible] (الزمر : الآية 53) .

وقوله عز وجل : [illegible] (الرعد :من الآية 6) .

الأحاديث : ما ورد فى صحيح مسلم عنه [illegible] : " [illegible] "[1] .

[illegible] "[2] .

[illegible] "[3] .

[illegible]

[illegible]

---

1 () رواه مسلم (17/85) التوبة، قال النووى رحمه الله معناه ما جاءه فى حديث أبى هريرة : [illegible] .

2 () رواه البخارى (10/426) الأدب ، ومسلم (17/70) التوبة .

3 () رواه البخارى (13/384) التوحيد، ومسلم (17/68) التوبة، والترمذى (3611تحفة) الدعوات .

[illegible] ".[1]

[illegible] : " [illegible] "

ب - الخوف

الخوف : سوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى ، وهو عبارة عن: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال ، والخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات .

والخوف القاصر يدعو إلى الغفلة والجرأة على الذنب والإفراط فى الخوف يدعو إلى اليأس والقنوط.

والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ، ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصى ، وتارة يكون بهما جميعاً ، أو بحسب معرفته بعيوب نفسه ، ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه ، وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، تكون قوة خوفه.

فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال : " [illegible] ".[2]

---

[1] () تقدم تخريجه ص (44).

[2] () رواه البخارى (10/513) الأدب ، ومسلم (15/106) الفضائل ، وأحمد (6/45 ،181).

عِبَادِهِ الْعُلَمَاء (فاطر : من الآية 28) .

وقال ابن مسعود : " ".

فضيلة الخوف

جمع الله عز وجلّ لأهل الخوف والهدى والرحمة، والعلم والرضوان، فقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ (الأعراف: من الآية 154) .

وقال تعالى : ﴿ [illegible] **عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ (فاطر: من الآية 28) .

وقال عز وجل: ﴿ [illegible] ﴾ (البينة: من الآية 8) .

وقد أمر الله عز وجل بالخوف، وجعله شرطاً فى الإيمان، فقال عز وجل : ﴿ **وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران: من الآية 175) .

فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه .

وقال رسول الله ﷺ : " [illegible] ".[1]

[illegible] ": ﷺ [illegible] ".[2]

[illegible] : " [illegible] ".

---

[1] () رواه البخارى (6/494) أحاديث الأنبياء ، وسملم (17/70)، والنسائى(4/113) الجنائر، وابن ماجه (3432) الزهد، وأحمد (2/269).

[2] () رواه الترمذى (7/130) فضائل الجهاد، وقال : هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى .

قال الله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ (آل عمران: الآية 57 - 61) .

وقد روى الترمذى فى جامعه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : " لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات "[1] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به " وقال قتادة : إذا تكلم به أخذ به ، وإذا عمل به كتب ، وإذا لم يعمل به لم يكتب ، وقال : " إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " وقال : " إن الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به "[2] .

وقال الحسن البصرى : إن الله لم يجعل للمؤمن على ما فى قلبه طريقا حتى يعمل به أو يتكلم به ، فإذا فعل ذلك أخذ به ، وإن الله تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به .

---

[1] () رواه الترمذى (12/4) التفسير وابن ماجه (4198)، والحاكم (2/394) التفسير، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وفى سنده انقطاع وله شاهد عند ابن جرير، وانظر جامع الأصول (2/254) وصححه الألبانى .

[2] () رواه البخارى (11/319) الرقاق، والترمذى (9/124) الزهد. والخنين : هوالبكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف .

[illegible] .[1]

[illegible] .[2]

[illegible].

[illegible] .

[illegible] (الطور: الآية 7) . بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه ، وقال لابنه وهو يموت : ويحك ضع خدى على الأض عساه يرحمنى ثم قال : ويل أمى لم يغفر لى –ثلاثاً –ثم قضى ، وكان يمر بالآية فى ورده بالله تخيفه فيبقى فى البيت أياماً يعاد يحسبونه مريضاً ، وكان فى وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء.

---

1 () رواه البخارى (6/347)بدء الخلق بمعناه ومسلم (6/196) الاستسقاء .

2 () رواه أبو داود (890) الصلاة بلفظ الرحى، والنسائى (3/13) والسهو، وأحمد(4/25،26) وصححه الألبانى ، وقال السيوطى: " أزيز" : أى خنين من الجوف وهو صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلى بالبكاء: كأزيز المرجل " وهو بالكسر: الإناء الذى يغلى فيه الماء سواء كان من حديد أو صفيح ،أو حجارة أو خزف – هامش (3/13) النسائى .
وقال فى المرقاة : وفى الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا واستدل على جواز البكاء فى الصلاة بقوله تعالى : (مريم 58) . عون المعبود (3/173).

وقال له ابن عباس : " مصّر لله بك الأمصار،وفتح بك الفتوح وفعل " فقال : " وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر " .

وهذا عثمان بن عفان [illegible] : " [illegible] " .

[illegible] : " [illegible] " [illegible] .

[illegible].

[illegible] : " [illegible] [illegible] ".

[illegible] : " [illegible] [illegible] ".

[illegible]: " [illegible] [illegible] " .

[illegible] (المدثر: الآية 8-9) . أخذته شهقة فمات .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن قال : " ابكوا فإن لم تبكو فتباكوا، فوالذى نفسى بيده : لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه " .

13 -التوبة

التوبة من الذنوب بالرجوع إلى ستّار العيوب ، وعلاّم الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الأصطفاء ، والاجتباء للمقربين .

ومنزل التوبة أول المنازل ، وأوسطها ،وآخرها، فلا يفارقها العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ، ونزل به ، فالتوبة هى بداية العبد ونهايته، وقد قال تعالى: [illegible] (النور: من الآية 31)

وهذه الآية فى سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمـان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمـانهم وصـبرهم ، وهجرتهـم ، وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبـة وأتـى بكلمـة " لعـل" إيـذانا بـأنكم إذا تبتـم كنتـم علـى رجـاء الفلاح ، فلا يرجـو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم ، وقال تعالى : [illegible] (الحجرات: من الآية 11)

فقسم العباد إلى : " تائب " و " ظالم " وليس ثم قسم ثالث ، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله ، وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه " [1] .

وقال ابن القيم رحمه الله : ومن أعظم الظلم الظلم في العقوبات وهو أن يعاقب العبد بأكثر من ذنبه .

وقال ابن القيم رحمه الله : ومن أعظم الظلم أن يعاقب على ذنب لم يعمله أو يؤاخذ بجريرة غيره .

وقال : " [illegible] " و " [illegible] " و " [illegible] " .

وقال ﷺ : "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" .

[illegible] " [illegible] " [illegible] .

وقال ابن القيم رحمه الله : و : " [illegible] " وقال ﷺ : "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" [2] .

وقال ﷺ : من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين [3] .

---

1 () تقدم تخريجه ص (44).

2 () رواه أحمد (1/376)، والحاكم (4/243) وصححه ، ووافقه الذهبى .

3 () رواه البخارى (5/101) المظالم ، والترمذى (9/254) صفة القيامة .

التوبة النصوح

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ (التحريم : من الآية 8)

وانصحُ فى التبوبة : هو تخليصها من كل غش ونقص وفساد ،قال الحسن البصرى : " هى أن يكون العبد نادماً على مامضى مجمعاً على أن لايعود فيه "

وقال الكلبى : " أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن " وقال سعيد بن المسيب : " توبة نصوحاً تنصحون بها أنفسكم " قال ابنُ القيّم : " النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء " :

الأول : تعميم الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

الثانى : اجماع العزم والصدق بكلتيه عليها بحيث لايبقى عنده تردد لا تلّوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته عزيمته مبادراً بها .

الثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى أخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته أو لحفظ وقته وماله أو استدعاء حمد الناس أوالهرب من ذمهم أولئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التى تقدح فى صحتها وخلوصها لله عز وجل .

فالأول : يتعلق بما يتوب منه ، والأوسط :يتعلق بذات التائب ، والثالث : يتعلق بمن يتوب إليه، فنصح التوبة : الصدقُ فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها ، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهى أكمل ما يكون من التوبة .

وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها فتوبته بين توبتين من ربه سابقة ولاحقة فإنه تاب عليهه:

أولاً : إذناً وتوفيقاً وإلهاماً ، فتاب العبد ، بتاب الله عليه .

ثانياً : قبولاً وإثابة لقوله عز وجلّ : [illegible] (التوبة: الآية 118)

فأخبر سبحانه: أو توبته عليهم سبقت توبتهم ,انها هى التى جعلتهم تائبين فكانت سببا مقتضيا لتوبتهم وهذا القدر من سر أسميه " الأول والآخرُ" فهو المعد والممد ومنه السبب والمسبب، والعبد تواب والله تواب ، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الأباق ، وتوبة الله نوعان : إذن وتوفيق، وقبول وإمداد .

والتوبة لها مبدأ ومنتهى ، فمبـدؤها : الرجـوع إلـى اللـه بسلوك صراطه المستقيمم الذى أمرهم بسلوكه بقوله تعـالى

: ﴿ ﴾ (الأنعام: من الآية 153)

ونهايتها : الرجوع إليه فى المعاد وسلوك صراطه الـذى نصبه موصلاً إلى جنته ، فمـن رجـع إلـى اللـه فـى هـذه الـدار بالتوبة رجع إليه فى المعاد بالثواب ، قـال اللـه عـز وجـل : ﴿ ﴾ (الفرقان: الآية 71)

أسرار التوبة ولطائفها

اعلم أن العبد العقال إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى أمور :

أحدها: أن ينظر إلى أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب .

الثانى : أن ينظر إلى الوعد والوعيد فيحدث له ذلك خوفاً وخشية تحمله على التوبة .

الثالث : أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث لك ذلك أنواعاً من المعرفة بالله واسمائه وصفاته وحكته ورحمته وحلمه وكرمه، وتوجب له عيودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة ،ويعلم ارتباط الخلق والأمر الوعيد بأسمائه وصفاته وأن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها فى الوجود، وهذا المشهد يطلعه على رياض موفقة من المعارف والإيمان وأسرار القدر والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم .

منها: أن يعرف العبد عزته فى قضائه ، وهو أنه سبحانه العزيز الذى يقضى بما يشاء وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته عل مايشاء وحال بين العبد وقلبه .

ومن معرفة عزته فى قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره ، لا عصمة له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا

بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد ،ومن شهود عزته فى قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة ،ـ وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوداً لعزة الله وكماله –وحده –غناه .

ومنها: أن يعلم بره – سبحانه –فى ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه ، ومنها مشاهد حلم الله عز وجل فى إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة فيحدث له معرفة ربه – سبحانه – باسمه " **الحليم** " .

ومنها: معرفة فضل الله فى مغفرته فإن المغفرة فضل من الله وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلا محموداً وإنماعفوه بفضله لا باستحقاقك فيوجب له ذلك شكراً ومحبة وإنابة ومعرفة باسمه " **الغفار** " .

ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار والافتقار وهى أربعة مراتب :

المرتبة الأولى : ذل الحاجة والفقر ، وهذه عامة فى جميعالخلق .

المرتبة الثانية : ذل الطاعة والعبودية ،وهو خاص لأهل طاعته.

المرتبة الثالثة : ذل المحبة فالمحب ذليل بالذات وعلى قدرمحبته يكون ذله.

المرتبة الرابعة : ذل المعصية والجناية وحقيقة ذلك هو الفقر .

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم .

ومنها: أن اسم " الرزّاق " يقتضى مرزوقاً ، و " السميع البصير" يقتضى مسموعاً ومبصرا، كذلك أسماء " الغفور ،

العفو ،التواب" يقتضى من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه ، ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات .

وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله [illegible] : " [illegible] "[1]

[illegible] : [illegible] : " [illegible] "[2].

[illegible]

[illegible] .

---

1 () رواه مسلم (17/46)التوبة، والترمذى (9/523)الدعوات وهذالفظ مسلم وانظر طرق الحديث فى الصحيحة رقم 970.

2 () رواه مسلم (17/63) التوبة واللفظ له ، والبخارى مختصرا (11/102) الدعوات. ورواه مطولاً من حديث عبد الله بن مسعود (11/102) الدعوات .

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

- [ ] Item 1
- [ ] Item 2
- [ ] Item 3
- [ ] Item 4
- [ ] Item 5
- [ ] Item 6
- [ ] Item 7
- [ ] Item 8
- [ ] Item 9
- [ ] Item 10
- [ ] Item 11
- [ ] Item 12

□□ □□ □□ □□□ □□□□ □□□□ -□ □

□□□□□□ □□□□□□□

□- □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□

□- □□□□□□□□

- □□□ □□□□□□□ □□ □□□□□□□□

- □□□ □□□□□□

□- □□□□□□□□ □□□□□□

□- □□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□

□- □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□

- □□□□□□□ □□□ □□□□□□ □□□□□□

- □□□□□□ □□□ □□□□□□

□- □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□:

□- □□□□□ □□□□□□□.

□- □□□□□ □□□□□□.

□- □□□□□ □□□□□□□.

□- □□□□□ □□□□□□□□□□.

□- □□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□.

□- □□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□

□- □□□□□□□□□□□

□- □□□□□□□

□- □□□□□□□□ □□□ □□□□□□

□- □□□□□ □□□□□□

□- □□□□□□ □□ □□□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□□□.

- □□ □□□□□□□

- □□□□□□ □□ □□□□□□□

□- □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□

- □□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□

□- □□□□□□ □□□□□□□

□- □□□□□

- □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□

- □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□ □□□□□□ □□□□□□

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

1426 هـ - 2005 م